قواعد تربوية

رمضان ١٤٤٤

تقديم

أناهيد بنت عيد السميري

غفر الله لها ولوالديها

قواعد تربوية

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدّم لكم مدوّنة (عِـلْـمٌ يُـنْـتَـفَـعُ بِــهِ) تفاريغ من دروس الأستاذة الفاضلة

أناهيد بنت عيد السميري حفظها الله

ونسأل الله أن ينفع بها.

https://anaheedblogger.blogspot.com

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسّنّة على فهم السّلف الصالح.

- هذه التّفاريغ من عمل الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.

- الكمال لله -عزَّ وجلَّ-، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

بسم الله الرحمن الرحيم

يوم الأحد 25 رمضان

(سورة الجاثية 14- 22)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا، ونسأله بمنه وكرمه أن يجعل القرآن الكريم ربيعًا لقلوبنا ونورًا لصدورنا وجلاء لأحزاننا وهمومنا...اللهم آمين.

لا زلنا نستقي من هذا الكتاب العظيم ما نربي به أنفسنا ونجعله بصائر لقلوبنا، نستقي من هذا الكتاب العظيم، نستقي من كلام ربنا ما يهذب النفوس ويطهر القلوب، ويجلي لنا الرؤية، فنسأل الله بمنه وكرمه، وهو المان على خلقه بكلامه، أن يجعل هذا الكلام العظيم مستقرًا في قلوبنا، منتفعين به، وهو قائدنا في دنيانا، وأنيسنا في قبورنا، وشفيعًا لنا حين نلقى ربنا...اللهم آمين.

نقف اليوم عند حقائق عظيمة وأوامر كريمة أرشدنا إليها رب العالمين من أجل أن تفرغ قلوبنا بطاعته، وأن تنشغل حياتنا بطلب رضاه. في سورة الجاثية -هذه السورة العظيمة، وهي من السور المكية- أتت أوامر لأهل الإيمان ترشدهم ماذا عليهم في تلك المرحلة أن يفعلوا، وترشدهم ماذا يفعلون وكيف يعتزون بما وهبهم الله، وكيف يتأدبون بالأدب الذي أدبهم رب العالمين. سنسمع الآيات من هذه السورة المباركة ثم نستخرج منها قواعد على ما يتيسر لنا:

(قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (14) مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (15) وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (16) وَآتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ ۖ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (17) ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (18) إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۖ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ (19) هَٰذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ (20) أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (21) وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (22))

هذه الآيات المباركات التي سمعناها من سورة الجاثية ابتدأت بأمر لأهل الإيمان ربما يستغربه الإنسان المؤمن، رب العالمين يأمر نبيه الكريم أن يقول للذين آمنوا: (قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ) سبحان الله! لم يغفروا لهم؟ وسنلاحظ هنا قاعدة نربي أنفسنا عليها، ويعلمنا رب العالمين فيها الأخلاق الفاضلة، والأفعال الحميدة، ويعلمنا رب العالمين كيف نفرغ نفوسنا ونطهر قلوبنا بالاشتغال لمعرفة ربنا وطلب رضاه.

من هم الذين (لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ)؟ أيام الله، كما مر في سورة إبراهيم (وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ) أيام الله هذه التي يظهر فيها نصرة الله لأهل الإيمان، أيام الله يظهر فيها قوة رب العالمين وقدرته -سبحانه وتعالى- أيام الله هي أيام يزداد فيها أهل الإيمان إيمانًا، أيام الله يظهر فيها من صفات الله ومن

عظمة الله ما يظهر. هؤلاء قوم لا يرجون أيام الله، والمعنى أنهم لا يعرفون الله، ولا يعرفون عظمته، وإذا ظهرت آية من آيات الله تدل على عظمته وقدرته، يبحثون عن تأويلات تمنع نسبة هذه الآية لله، تمنع دلالة هذه الآية على عظمة الله، وترد هذه الآية لأفعال الخلق.

وهذا نجده كثير، الله -عزَّ وجلَّ- يظهر قوته وعزته وقدرته، يظهر الله -عزَّ وجلَّ- من الآيات الدالات لأهل الإيمان الذين صح إيمانهم وعرفوا ربهم، يظهر لهم آيات تدل على تدبيره وعلى أن الأمر له، فيسعى هؤلاء الذين (لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ) لتفسير هذه الآيات ولتأويلها على باب لا يدل على ما أراد الله، يفسرونها تفسيرًا لا يجعلونها آية من آيات الله، فيدخلون الخلق، أو قواهم، قدرتهم، آلتهم، فيشتتون أهل الإيمان عن النظر لهذه على أنها آية من آيات الله، وعلى أن هذا يوم من أيام الله. فهنا فريق مؤمن بالله، وهنا فريق لا يرجو أيام الله، وكل صفة في فريق منفية عن الفريق الثاني، وكل صفة موجودة في فريق ضدها موجود في الفريق الثاني.

فريق أهل الإيمان يرجون أيام الله، والفريق الذين (لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ) لا يؤمنون بالله، وهذا شأن عظيم. ما هو المطلوب من الذين آمنوا بالله أن يعفوا مع الذين (لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ)؟ أمرنا رب العالمين أن نتجاوز هؤلاء ولا نقف عند أقوالهم ولا تفسيراتهم، ولا ننشغل بتأويلاتهم، ولا ننشغل بتصرفاتهم ولا نتشتت بسببهم، فهم حريصون على أن يشتتوا أفكار المؤمنين، وأن يؤولوا أيام الله تأويلًا يجعل المؤمنين لا يتذكرون من أيام الله ما أراد الله من بيان قدرته وعظمته، إنما يشتتونهم، فأول ما يحصل في تفكيرهم هذه التأويلات التي أولها أهل الباطل، هؤلاء الذين (لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ). فما أخطر هؤلاء على أهل الإيمان، لا ترى آية تمر تدل على قدرة الله، إلا وأولوها تأويلًا يحشرون فيها أنفسهم ويعظمون

فيها أنفسهم، ويعظمون فيها قدرتهم، يزاحمون في قلوب المؤمنين قوة الله وقدرته، والأمثلة كثير، وما مر في السنتين الماضية أدلة تامة الوضوح على أن القوم الذين (لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ) يأتون إلى كل يوم من أيام الله ويشتتون أهل الإيمان عن أنهم ينظرون على أنه يوم من أيام الله. هؤلاء لا يخافون الله ولا يرجون لقاءه ولا ينظرون إلى ما يمر عليهم في الحياة على أنها آيات من آيات الله. فتجد أهل الإيمان يتلقون تفسيراتهم، ويستقبلونها، وهم يمكرون في إلقاء هذه التأويلات مكرًا يجعل أهل الإيمان يظنون أنهم وقعوا على الحقيقة في هذه التفسيرات، يجعلون أهل الإيمان يقتنعون أنه لا مانع أن يكون هذا هو تفسير ما يقع في الكون. ولنعتبر في هذا بأمر غاية في الوضوح في مسألة مثل الكسوف والخسوف، هذه مسألة من المسائل التي لأهل الإيمان حال خاصة معها، هناك شريعة تخص هذا الحدث، وهناك صلاة مختلفة عن بقية الصلوات، لكن نفاجأ أن أهل الإيمان يفسرون هذا الحدث بتفسير الذين (لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ) ويصبح هذا الحدث باردًا في نفوس أهل الإيمان بسبب تفسيرات القوم الذين (لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ) وقس على ذلك كل ما يمر على الناس. فيصل الذين (لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ) إلى ما يريدون من تضعيف إيمان أهل الإيمان، ومن شغل أهل الإيمان بشيء غير النظر أن هذه آية من آيات الله، ويصبح الموضوع أطروحة للنقاش، ومجرد أن تأتي الآية يجب أن يتجرد الناظر إليها تمامًا من كل أمر ومن كل تفسير ومن كل تفكير، وينظر فقط أن هذا فعل الله، ولا يجعل الذين (لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ) يملون عليه، بصورة أو بأخرى، تفسيرات من عندهم.

الذين (لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ) يمكرون فيجعلون أهل الإيمان يتبنون بعض الأفكار حول آيات الله ويظنون أن هذه هي التفسيرات السليمة، وقد مر معنا أن هناك حق وهناك باطل، وأننا حين تتشوش الرؤيا عندنا لا نحكم

إلا بالحق المحض، الصرف، الواضح، هذه آية من آيات الله دالة على قدرة الله، أي شيء آخر مشوش نتركه ثم نقول: "أنتَ تحكُمُ بينَ عبادِكَ فيما كانوا فيهِ يختلِفونَ اهدِني لما اختُلِفَ فيهِ منَ الحقِّ بإذنِكَ إنَّكَ تهدي من تشاءُ إلى صِراطٍ مستقيمٍ".

تبني أي فكر في الفؤاد غدًا سيحاسب عنه الإنسان، والذين (لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ) يمكرون بأهل الإيمان ويحرضون على أن يدسوا أنوفهم ويدسوا أنوف البشر في أفعال الله، بحيث تبرد الحقائق ولا يكون لها الأثر المطلوب.

ماذا نفعل مع الذين (لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ)؟ (قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ) أمرنا رب العالمين أن نتجاوزهم لمصلحة نفوسنا، وهذه الآية قد ذكرت فيها أسباب نزول، وإن كان أكثرها فيه ضعف، لكن مجمل المعنى أن التوجيه كان لأهل مكة من المؤمنين، أن يتجاوزوا عن أهل الكفر لمصلحة استبقاء الهدوء بمكة، ومن أجل ألا يشغلهم أهل الكفر، فأهل الكفر كلما وجدوا أهل الإيمان مستقرة نفوسهم، مجموعة على الإيمان، يفهمون عن الله، ويزدادون إيمانًا، يبذلون جهودهم أن يلقوا عليهم ما يشتتهم؛ لذا (وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ).

(قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ)، مصلحة إهمال أطروحاتهم وأفكارهم وتفسيراتهم لأي آية من آيات الله مصلحة عظيمة، لأن الناس حين يشيع بينهم أن هذه آية من آيات الله، هذا دليل على قدرة الله، أكيد أنه أفضل مرات لا تعد من أن يقولوا: (هؤلاء الأعداء فعلوا كذا وكذا، هؤلاء الأعداء قالوا كذا وكذا)

المصلحة الأعظم أن نعود إلى الحق المحض الذي لا مرية فيه، ونترك التأويلات والتفسيرات التي يختلف الخلق فيها، وربما تكون هي بنفسها

داخلة في هذا المعنى، وأن الذين (لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ) حريصون على أن تكون مثلهم، لا ترجو أيام الله ولا تخاف الله ولا تفسر أفعال الله على أنها دالة على قدرة الله، ولا تجعل الظاهر يدل على باطن الأمور. فشيوع ذكر الله وتعظيم الله، ورد الأمور إلى الله، فتزداد النفوس إيمانًا بالله، هو مقصد الشريعة.

لذلك في هذه السورة في أولها رب العالمين قال -حتى نزداد فهمًا للمعنى-: (تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ (6) وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ) هذا الأفاك الأثيم حين يسمع آيات الله المتلوة أو يرى آيات الله الكونية، يأتي بالإفك، يكذب، يخرج تأويلات لأجل أن تتشتت أنت أيها المؤمن.

بين لنا رب العالمين قال: (وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (7) يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) انظر لهذه الصفة التي ستأتينا ستزيدنا بيانًا لهذا الأفاك الأثيم (وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا) حاول بقدر المستطاع أن يستهزئ بهذه الآية، سنركز على مثل الكسوف والخسوف ونقيس على ذلك، يقول: (الكسوف والخسوف دليل على غضب الله؟ من قال هذا الكلام؟ الكسوف والخسوف حركة كونية محسوبة حين يحصل كذا يكون كذا) وهنا نحن لا ننكر أن آية الله تتخذ طريقًا من هذه الطرق، لكن الذي ننكره أن يحشر هذا الكلام في الآية التي مقصدها تعظيم الله والعودة إلى الله، احذروا من أن تحملوا كلام الأفاكين الأثيمين، وإذا رأيتم آية من آيات الله دالة على عظمة الله، ابعدوا عن كل تأويل واحرصوا أن تكون هذه الآية تدل على عظمة رب العالمين. لا ننسى الأفاك الأثيم (وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا) كيف يستهزئ بها؟ يأتي بتأويلات ويحشر نفسه ويجعل نفسه أنه قادر على الكون وأنه يستطيع أن يفعل في الكون ما شاء، وهذا كله من مكرهم

بأهل الإيمان حتى يصل أهل الإيمان بدون ما يقصدون أن يعظموا أهل الكفر، بدون أن يقصدوا يساندون أهل الكفر!

ماذا نفعل؟ ما أمرنا رب العالمين ﴿قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ اتركوهم، وهذا الأمر قد تكرر في القرآن، الأمر بالعفو عنهم والإعراض عن أذاهم، أمر النبي ﷺ بذلك وفي هذه الآية أمر النبي أن يقول للمؤمنين هذا المعنى. فهؤلاء ﴿لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ ولا يترقبونها، وحالهم، كما هو معلوم عناد وبذل جهد في تفسير الأمور بحيث أنهم ينصرفون عن آثار هذه الآية.

فهؤلاء الذين ﴿لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ كما أنهم يبذلون جهودهم في الاستهزاء بآيات الله وفي صرف أنفسهم وغيرهم عن آيات الله، كذلك هم في شغل عن ترقب نعم الله حتى حين تأتيهم، لما هم فيه من إسناد فعل الخير لأنفسهم ولقدارتهم، فحال المؤمنين خلافهم. أهل الإيمان يرجون أيام الله، ويعلمون عظمة الله، ويرجون النعم من الله والفرج من الله والنصر من الله، فهذا حال أهل الإيمان.

وحال أهل الكفر وأهل النفاق الذين وصفهم رب العالمين أنهم ﴿لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾. ﴿لَا يَرْجُونَ﴾ تأتي بمعنيين:

1-معنى أنهم لا يخافون من آيات الله التي أرسلها الله لعباده من أجل أن يعظموه ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾[1].

2-وأيضا تفسر بمعنى الرجاء، يرجون نعمة الله، فهؤلاء لا يخافون نقم الله ولا يرجون نعمة الله.

---

[1]() نوح: 13.

وأهل الإيمان يخافون نقم الله ويرجون نعم الله. هذه الآية مثل آيات كثيرة في القرآن تأمرنا بأن ننشغل عن أهل الكفر وآرائهم، من أكثرها شبهًا بهذه الآية آية آل عمران، ومنها أيضًا نؤكد هذه القاعدة.

أخبر الله -عزَّ وجلَّ- في آل عمران أنكم يا أهل الإيمان ستسمعون من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا ستسمعون أذى كثيرًا في دينكم، ماذا تفعلون؟ قال الله -عزَّ وجلَّ- في آل عمران: (وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) اصبروا، اتركوهم، انصرفوا عنهم ولا تنشغلوا بهم، إلى متى؟ قال عزَّ وجلَّ: (لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) إذًا هذا تعليل الأمر بأن نغفر للذين (لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ) يعني اغفروا واصفحوا ولا تنشغلوا بهم ولا تدخلوا في كلام ومهاترات ورد وتنتصروا لأنفسكم أو تأخذون منهم الكلام وتستدلون بكلامهم.

ليجزي المؤمنين على إيمانهم وعلى صبرهم لما أوذوا في سبيله. أنت تغفر وتتركهم، رب العالمين يجزيك؛ لأن الانتصار للنفس توفية للحق، وماذا عسانا أن نبلغ من شفاء أنفسنا بالتصدي لهؤلاء؟ بالانشغال بهم أو الرد عليهم؟ الصحيح أن نتوكل على الله، وأن نثق في الله، وأن نعتمد على نصر ربنا؛ ولذلك رب العالمين في سورة الحجر يقول لنبيه: (وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ ۖ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ) فهذا هو المطلوب، ألا تنشغل قلوبنا بهؤلاء لأن الله سيجزي كل قوم بما كانوا يكسبون، من خير أو شر، بما يناسب كسبهم، وهذه الجملة فيها وعد لأهل الإيمان أهل الحق ووعيد لأهل الكفر والباطل. وهذا سيفسر أكثر في الآية التالية:

(مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ) يعني (لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) كل على حسب عمله، فأتت القاعدة الواضحة في هذا الأمر؛ رب العالمين يقول لا تكافئوهم أنتم، نحن

نكافئهم، فهنا يأتي الحكم العام: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا) وهذا تأكيد لما مر علينا ويجب أن نعيده ونزيده ونضعه أمامنا ونربي أنفسنا عليه: أن العمل الصالح يعود بالنفع العظيم على فاعله، والعمل الرديء يعود بالضرر على فاعله، وأنه -عزَّ وجلَّ- أمر بهذا ونهى عن ذلك لأجل أن يتزكى العباد، هذا للعباد، لحض العباد، لنفع العباد، لا لنفع يرجع إليه، تعالى الله، فهو الغني الحميد، أنتم الفقراء إلى الله، والله هو الغني الحميد، هذه القاعدة يجب ألا تغيب عنا: أن نفع الأعمال الصالحة لأنفسنا، ربنا غني. ومن أساء فعليه الإساءة، من تكلم بالكلام الطيب فلنفسه، من تكلم بالكلام السيء فعلى نفسه، من أنفق في سبيل الله وقام الليل وصام النهار وقرأ القرآن فلنفسه، ومن بخل وقصر فعليها، فرص أمامك وعدم الاستفادة منها يعود بالخسارة عليك (ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ) فيُعطى كل أحد حقه الذي تفضل الله به.

ونحن نرجو من الله -عزَّ وجلَّ- أن يعاملنا بفضله وألا يحرمنا -سبحانه وتعالى- بذنوبنا، هو المتفضل على خلقه بأن أقامهم مقام الإيمان، هو المتفضل على خلقه أن جعلهم في الطريق المستقيم، فنرجو من الله أن يثبتنا على الطريق وأن يعاملنا بفضله -سبحانه وتعالى- وأن يمحو سيئاتنا ويرفع درجاتنا، هو ولي ذلك والقادر عليه.

هذا الأمر في الآيتين بدا واضحًا، الحمد لله، لا تنشغل بالذين (لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ)، وسر في طريقك متوكلًا على ربك، راجيًا منه الثبات، راجيًا منه النصر، إن تشوشت الرؤية عليك التمسك بالحق المحض، وسل الله -عزَّ وجلَّ- وهو الذي (يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) أن يهديك إلى الحق بإذنه، سبحانه وتعالى.

ثم إن الأمور لا يشترط أن تتضح كلها في الدنيا، ستظهر في الآخرة، فارعَ أن تتبنى في فؤادك الحق الصرف الذي أنت على يقين أنه حق، وبقية الآراء والأقوال إن حصل فيها تشويش وحصل فيها إشكالات فدعها وتوكل على الله، واعلم أننا إلى الله راجعون، من أحسن في هذه الدنيا فلنفسه، ومن أساء فعليها.

ثم بين -عزَّ وجلَّ- في الآيات التالية ما أنعم به على بني إسرائيل، وكيف كان تصرفهم مع العلم، وهذا مناسب جدًا لما مضى؛ لأن الذين آمنوا أمروا ألا ينشغلوا بالذين (لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ)، وأن يسيروا في طريقهم، فأخبر -عزَّ وجلَّ- عن حال القوم الذين رزقهم الله وأعطاهم ثم يخبرنا ماذا فعلوا. فيقول عزَّ وجلَّ: (وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ) هذه نعم الدين وهي أفضل ما آتى رب العالمين أي أحد من الخلق، أعطاهم الكتاب وهو التوراة، والحكم معنى ذلك أنهم عرفوا أحكام الله، وأعطاهم النبوة، كان هؤلاء القوم إذا مات فيهم نبي أتى النبي بعده وكان لا يسوسهم إلا الأنبياء، هذه نعم الدين.

ثم تأتي نعم الدنيا (وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ) وسع عليهم في الدنيا، أورثهم أموال قوم فرعون وديارهم، أنزل عليهم المن والسلوى، (وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ) عالمين زمانهم كانوا هم أعلى درجة فيهم.

ثم قال عزَّ وجلَّ: (وَآتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ ۖ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (17) ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ) عندهم الأمور واضحة جدًا، وتأويلات وتفسيرات ما يحصل حولهم واضحة جدًا، معجزات قاهرات دالة على صحة الأنبياء وآيات بينات من آيات الله، لكن كيف فسروها؟ يقول عزَّ وجلَّ: (فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا

بَيْنَهُمْ) هذا تعجب من حالهم لأن حصول العلم يوجب ارتفاع الخلاف، لكن هنا أتى العلم فصار سببًا للخلاف، وهذه مصيبة عظيمة تدلنا على أحد مهلكات الإيمان، فيما مضى كان الذين (لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ) هم المتسلطون، هم الذين يفسرون لنا آيات الله (وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا) وألقى علينا هذا الهزو وفعل كذا، هنا الأمر مختلف، هؤلاء هم نفسهم من المتصور أنهم من أهل الإيمان الذين معهم علم ومعرفة وفهم. مجيء العلم سبب حصول الاختلاف، لماذا؟ هنا داء في النفس، نعوذ بالله من الداء، لم يكن مقصدهم من العلم طلب العلم، إنما المقصد منه طلب الرياسة والتقدم، المقصود منه أن يجادلوا ويخاصموا، المقصود أن يكون عندهم أداة للعلو على غيرهم، فأصبح العلم أداة للعلو، فتعلموا ليس لأجل العلم ومن ثم فسدوا وأفسدوا، وهؤلاء كانت البينات واضحة عندهم والدلائل، يعني لو تأملوا لعرفوا الحق لكن بسبب الحسد والعناد اختلفوا وأظهروا النزاع.

هنا سنعود لنفس القضية، ماذا سيحصل لهؤلاء؟ (إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) هذا الذي يجب أن يكون في نفوسنا، نحن نطلب الحق، ونسأل الله أن يدلنا على الحق، ونقرأ سورة الفاتحة ونحن جامعون قلبنا على طلب الهداية للحق، حتى يكون هذا الحق، كما سيأتي في السياق (هَٰذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ) ونوكل أمر المخالفين المضادين إلى رب العالمين فلا ننشغل بهم، ننشر الحق ولا نشتغل بالخصومات، ونقول: (يا رب أنت تحكم بين عبادك، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك) وغدًا رب العالمين يحكم بينهم.

ويجب أن نتصور هنا أن الله -عزَّ وجلَّ- يبتلينا بمثل هؤلاء، نمر في الحياة على أشخاص معهم علم لكنهم جعلوا العلم مادة للنزاع. فنعوذ بالله من أحوالهم، نسأل الله أن يجنبنا أن ندخل في شيء من شرهم أو أن

نشتغل في خصومتهم، نسأل الله المان علينا بالإيمان أن يصرفهم عنا صرفًا تامًا، لا ننشغل بهم ولا يؤثرون على أحوالنا، ونسأل الله -عزَّ وجلَّ- أن يجنبنا أن نكون منهم، فالأمر يحتاج إلى كثير من التقوى.

أمام هذا النموذج الذي كان دائرًا حول بني إسرائيل وحالهم، بيّن الله أمر مهم في حق أهل الإيمان، قال عزَّ وجلَّ: (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا) ففي هذا مدح عظيم لما عند رسول الله ﷺ من علم، وما جاء به ﷺ من العلم، (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ) وهذا التنوين في "شريعة" للتعظيم، يعني على دين وملة عظيمة، فهنا يظهر الثناء على شريعة الإسلام وأنها أفضل الشرائع، وأنها شريعة عظيمة، وأن الرسول ﷺ متمكن منها لا يزعزعه شيء، ولا يمنعه شيء من بيانها والدعوة إليها.

(فاتبعها) دم على اتباعها، (وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) هذا هو المعنى الذي مر في النقطتين الماضية؛ الذين (لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ) يريدون أن يشوشوك، ونفس الناس الذين معهم علم يريدون أن يشوشوك، هؤلاء اتخذوا آلهتهم هواهم فكن حذرًا منهم، (وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ) يعني ما يميل إليه هؤلاء ويحبونه، دينهم أعمال أحبوها هم ومالت لها نفوسهم، لم يأمرهم الله بها، ولم يأتِ عليها برهان، وإنما فكرة تبنوها وأصروا أنها الصواب وتجاهلوا كل شيء أمامها، تجاهلوا كل الأدلة الواضحة، فرب العالمين يبين لرسوله أنك على شريعة من الأمر واضحة تمامًا، فاترك عنك التأويلات، اترك كل ما يشوش عليك، (إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا) لماذا نهي النبي ﷺ عن اتباع الذين لا يعلمون؟ لماذا هذا الأمر موجه للنبي ﷺ ولنا؟ التعليل أنهم لن يغنوا عنه من الله شيئًا، بمعنى أن مخالفة ما أمر الله توقع غضب الله، فلا يغني عنه اتباع أهواءهم من عقابه، (وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۖ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ) وهنا

ننظر إلى أمر غاية في الأهمية وهو مسألة الولاية، ومسألة التجمع على فكرة، كما قال عزَّ وجلَّ: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) وهؤلاء، كما قال -عزَّ وجلَّ- أنهم (اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ) هؤلاء أناس اجتمعوا ووالى بعضهم بعضًا على الباطل ووالوا الشيطان وخرجوا بأهوائهم وألقوها على أهل الإيمان، أنت يا رسول الله، ﷺ، ومن اتبعك ما حالك؟ (وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (18) إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) هؤلاء الظالمين (بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) و(اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ)، وأنت أيها المؤمن (وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ) هؤلاء أهل التقوى الذين يتقون كل المشوشات، ويعودون إلى العقيدة الصافية، هؤلاء وليهم الله، فالله ولي المتقين -سبحانه وتعالى- والمتقون أولياء الله فهو وليهم وهم أولياؤه، لأنهم يوالونه بالطاعة والإيمان، وهو -عزَّ وجلَّ- يواليهم بالرحمة والجزاء (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ)[2] وهنا (وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ).

والله قد بيّن في كتابه أنه ولي المؤمنين، ولتكن هذه الولاية هي طموح أهل الإيمان، فلنرب أنفسنا على أن يكون طموحنا أن نكون أولياء الله والله يكون ولينا، بيّن الله في آيات من كتابه أنه ولي المؤمنين وأنهم أولياؤه كما في المائدة: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ).

وكما مر معنا في الأعراف: (إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ).

وكما في البقرة: (اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ).

---

[2]() يونس: 62.

وكما في محمد: (ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا).

وكما في سبأ: (قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم).

ما أعظمها من علاقة، ما أعظمه من طموح، والله لو بذلنا كل جهودنا لنصل إلى هذه الدرجة العظيمة نكون قد ربحت تجارتنا وفلحنا أي فلاح، فلنجعل هذا هو طموحنا في الحياة، أن نكون من أولياء الله والله ولي المتقين، فلتكن التقوى عنواننا وعليها مسارنا، وهو -عزَّ وجلَّ- المؤمَّل أن يوصلنا إلى هذا الأمر العظيم. لذا قال رب العالمين في أول الآية (إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا) صحيح أن الظالمين بعضهم أولياء بعض، يجتمعون في الدنيا ويتقوى بعضهم ببعض، وهذا يناصر هذا، وهذا يقوي قول هذا، لكنهم كلهم لا شيء، إذا كان الله وليك كنت مع القوي العزيز، سبحانه وتعالى.

كيف أكون من المتقين؟ كيف تتضح لي الرؤية كما ينبغي؟ أقبل على كتاب الله (هَٰذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ) لقوم يطلبون اليقين، يريدون أن يكونوا من الموقنين. هنا الإشارة للقرآن لأنه حاضر في الذهن فهو بصائر، والبصائر جمع بصيرة وهي شأن في قلب الإنسان يدرك الأمور على حقيقتها وشبهت ببصر العين.

البصائر هبة من رب العالمين لمن يقبل على القرآن ويأخذ منه بصيرته، بمعنى أن القرآن يصبح حاسة من حواسك الباطنة، يصبح بصيرة القلب، بالقرآن تنظر إلى الأمور، فهو بصائر وهدى ورحمة، القرآن هدى لأنه طريق نفع من اتبع إرشاده، فكأن الإنسان سائر وأخوف ما يخافه الإنسان وهو سائر في طريقه الضياع، فاتباع القرآن كالاهتداء للطريق الموصل لمقصدك، والقرآن رحمة لأن في اتباع هديه نجاح وفلاح الناس في الدنيا، لأنه نظام اجتماعي واضحة معالمه، فيه من

الأمان والراحة ما فيه، وأعظم من هذه الرحمة أنه سبب لنيل الدرجات العلا في الجنة، فالقرآن بصائر لأنه يبين للناس الخير والشر، ويحرضهم على الخير ويحذرهم من الشر، يرغبهم في الخير ويكرههم في الشر، القرآن هذه صفته لكن لمن؟ لقوم يطلبون اليقين. ما يهتدي ببيانه إلا الموقن بحقيقته، ولا يرحم به إلا من اتبعه مؤمنًا بعظمته، ولا يكون رحمة إلا على من أقبل عليه، راغبًا في أن يكون هذا القرآن سببًا لرحمته.

فهؤلاء القوم الذين أصبح القرآن بصائر لهم وهدى ورحمة، هل تتصورون أن حياتهم تكون مثل غيرهم؟ لا والله! لذلك أتى مباشرة (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) هذا من أبطل الباطل.

عدل تفكيرك، صحح موازينك، لا يمكن لأهل الباطل الذين اجترحوا السيئات أن يجعلهم الله كالذين آمنوا وعملوا الصالحات، من اكتسبوا السيئات هل يمكن أن يكونوا مثل الذين آمنوا وعملوا الصالحات؟ لا والله! وانظر في أيام وليالي هذا الشهر المبارك، وانظر لمن أقامهم الله مقام الصيام والقيام وتلاوة القرآن، انظر لمن اجتهد في ختمات القرآن وفي ذكر الله وفي دعائه، انظر للطائفين والعاكفين والركع السجود، انظر إلى مقامهم وكيف منَّ الله -عزَّ وجلَّ- عليهم وأقامهم مقام الإيمان، هل يمكن أن يكون حال المؤمن الذي منَّ الله عليه بأن أقامه مخلصًا، أقامه مقام العبادة والطاعة، يكون حاله مساويًا لحال الكافر الفاجر المنافق في درجات الثواب ومنازل السعادة؟ نعوذ بالله من هذا التفكير. (سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) حكم باطل. فمن هنا يعلم أهل الإيمان أن الله لا يمكن أن يتولى إلا المتقين، وليعلم أهل الكفر والنفاق أن هذا من أفسد الأحكام، كيف

يحسب أهل الفسوق والفجور والنفاق أن يتولاهم الله كما تولى المتقين؟ لا والله لا يتولاهم الله كما تولى المتقين، أبدًا.

وهذا يؤكد ما مر معنا في سورة ص (أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ)، لا والله ما يجعلهم رب العالمين متساوين أبدًا، بل انظر إلى ما عند أهل الإيمان من سعادة وهناء، يقفون بين يدي الله، وإن حصل لهم شيء من التعب، لكن هذا يذهب بمجرد تصور حلاوة الأجر، وتبقى هذه الأيام المباركات في قلوب أهل الإيمان المتقين ذكريات جميلة يتمتعون بها في الدنيا كلما هبت عليهم رياحها، وفي الآخرة أعظم من ذلك، يجازون عليها وترتفع درجاتهم في جنات النعيم بها، وإذا جلسوا في مجالس الجنان تذكروا ما كان منهم من أفعال الإيمان، وتذكروا ما كانوا يظنون في رب العالمين، وكيف أنهم كانوا يدعونه -سبحانه وتعالى- في دنياهم، كما في سورة الطور (وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (25) قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (26) فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ (27) إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ) هل يظن ظان أن الله يساوي بين أهل الإيمان وبين الذين اجترحوا السيئات؟ والله إنه من أفسد ما يكون من تصور.

اللهم اجعلنا يوم القيامة فوق كثير من خلقك من الناس، اللهم اغفر لنا ذنوبنا وأدخلنا يوم القيامة مدخلًا كريمًا، اللهم إنا نعوذ بك من عذاب النار وعذاب القبر، ونعوذ بك من الفتن ما ظهر منها وما بطن، اللهم إنا نعوذ بك من فتنة الدجال.

اللهم إنا نسألك المعافاة في الدنيا والآخرة، اللهم لا تخزنا يوم القيامة. اللهم إنا نعوذ بك من علم لا ينفع ومن عمل لا يرفع ومن قلب لا يخشع

ومن قول لا يسمع. سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.